

الحكمة

من افتتاح سورة الكوثر بـ (إِنّا)

الإمام الشیخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه



هذا البحث مقتبس من كتاب
(حول تفسير سورة الكوثر)
من الصفحة ٥ حتى الصفحة ٨

للسُّيُّورِ الْإِمَامِ
عَبْدِ اللَّهِ سَرَاجِ الدِّينِ الْحَسِينِيِّ
بَنَاءً عَلَى تَوْجِيهَاتِ وَلَدِهِ
الْمُهَنْدِسِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدِ مُحَيَّيِ الدِّينِ سَرَاجِ الدِّينِ
رَحْمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَضَى عَنْهُمَا

ويُمْكَنُ تَحمِيلُ هَذِهِ الْأَبْحَاثِ الْقِيمَةِ
وَتَحمِيلُ جَمِيعِ كُتُبِ الشَّيْخِ الْإِمامِ
مِنْ مَوْقِعِهِ الرَّسْمِيِّ وَالْوَحِيدِ

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعليينا معهم بفضلك يا رب العالمين آمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخْرُجْ ② إِنَّكَ شَانِئَكَ
هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

قوله تعالى :

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

افتتح الله تعالى هذه السورة الكريمة بقوله: ﴿إِنَّا﴾ إعلاماً بالعظمة والعزّة الإلهية، وإعلاناً بالمنة الكبرى على رسوله بالعطية صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسلیماً كثيراً أبداً.

وحقّ لرب العالمين أن يتعالى، ويعظم نفسه، ويمجد نفسه، فإن العزة والكرياء والعظمة هي صفات له ذاتية، لأنّه المتصف - وحده سبحانه - بجميع الكمالات التي لا نهاية لها، على وجه لا يحيط بعلمها إلا هو سبحانه.

فهو سبحانه يُمجد نفسه، ويعظم نفسه؛ ويشتني على نفسه؛
وحق له ذلك.

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهمَا قال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وعلَّى آله وسلِّمَ قرأَ هذه الآية ذات يوم على المنبر: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِقَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ» ورسول الله صلَّى الله عليه وعلَّى آله وسلِّمَ يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر: «يمجد رب نفسه، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم».

فرجف برسول الله صلَّى الله عليه وعلَّى آله وسلِّمَ المنبر حتى
قلنا: ليخرُّنَّ به.

وفي رواية لمسلم: قال ابن عمر رضي الله عنهمَا: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أَسَاقْطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي رواية البزار: فقال المنبر هكذا، فجاء وذهب - ثلاث مرات^(۱).

نعم لقد خشع المنبر، وأخذته الخشية من عظمة الله تعالى وجلاله، متأثراً بمواعظ رسول الله صلَّى الله عليه وعلَّى آله وسلِّمَ . كما قال تعالى: - في الحجارة - «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا أَلَّهُ بِيَنْفِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ» .

فالكبرياء والعظمة والعزة، هي صفات ذاتية لله وحده.

(۱) انظر (تفسير) ابن كثير و(الدر المنثور).

روى مسلم وغيره، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهمَا قالاً: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يقول الله عزوجل: العُزُّ إِزَارِي، وَالْكَبْرِيَاءُ رَدَائِي، فَمَن يَنَازِعَنِي عَذَبَتِه». .

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان في (صححه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: الْكَبْرِيَاءُ رَدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَن نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَدْفَتِهُ فِي النَّارِ». .

فهو سبحانه يُمجِّد نفسه، ويُعظِّم نفسه، كما أَنَّه سبحانه يشَّيِّع على نفسه، ولا يستطيع أحدٌ من خلق الله تعالى أن يُحصي ثناءً عليه، ويحيط بذلك، وهو كما أثني على نفسه جل وعلا.

جاء في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات ليلة من الفراش، فالتمسته فوquette بدي على قدميه - وهو في المسجد - وهمَا منصوبتان^(١) وهو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرَضْاكَ مِنْ سُخْطَكَ، وَبِمَعافَاتِكَ مِنْ عَقَوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحصِّي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الليل فصلَّى، فأطَّال السجود حتى ظنت أَنَّه قد قُبِضَ، قالت: فسمعته يقول في سجوده: «أَعُوذُ بِرَضْاكَ مِنْ سُخْطَكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عَقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحصِّي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

(١) أي: قدماء الشريفتين منصوبتان كما هو هيئت القدمين في السجود.

ثم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أَيْ : بعد فراغه من الصلاة - : «أَتَدْرِينَ أَيَّ لِيْلَةً هَذِهِ»؟
قلت : الله ورسوله أعلم .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «هَذِهِ لِيْلَةُ النَّصْفِ مِن شَعْبَانَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَطْلُبُ عَلَى عَبَادِهِ فِي لِيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ ، وَيُؤْخِرُ أَهْلَ الْحَقْدِ كَمَا هُمْ»^(١)

أَيْ : فَحَقُّهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ يَحْرُمُهُمْ خَيْرَ تِلْكَ الْلَّيْلَةِ وَرَحْمَتِهَا .
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ يُشَنِّي عَلَى نَفْسِهِ ، وَهُوَ أَحَدٌ لِهِ ذَلِكَ جَلَّ وَعَلَا .

(١) قال الحافظ المنذري : رواه البهقي من طريق العلاء بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها ، وقال : هذا مرسل جيد . اهـ